**اخرج من قفص الفاقة**

لم تكن تلك المرة الأولى التي أقابله فيها، فقد جمعتني به ظروف السفر إلى مسقط كثيرا عندما كنت طالبا أدرس الجامعة خارج السلطنة، كانت ضيافة المرحوم الشيخ علي بن محاد عوبد المعشني إيواء يجمع أبناء السبيل من أبناء محافظة ظفار ممن كانوا يأتون إلى العاصمة مسقط لقضاء حوائجهم ورفع طلباتهم إلى الوزارات و الجهات الحكومية المعنية للحصول على مساعدات مالية أو تذاكر سفر أو أراض. كانت تلك الأيام من السبعينيات حتى بدايات الألفية موسما متدفقا بالرخاء، أتذكر أن بعض كبار السن كانوا يقصدونني لتحرير طلباتهم إلى المغفور له بإذن الله تعالى حلالة السلطان الراحل قابوس طيب الله ثراه وفي بعض الأحيان كنت أكتب لبعضهم طلبات إلى ديوان شؤون البلاط و في أحيان أخرى كنت أكتب لبعضهم طلبات للحصول على أراض سكنية أو تجارية أو رسائل طلب ضمان اجتماعي أو توظيف. لم تكن مكاتب سند قد عُرفت بعد؛ فكانت الأمور تعالج بتلقائية وعفوية، ولم يكن الشيخ المرحوم علي بن محاد عوبد المعشني يتردد مطلقا في رفع تلك الرسائل إلى الجهات المختصة بل وكان يوصي عليها ويتابعها وكان سماط الطعام في ضيافته يجمعه مع ضيوفه وخاصة في الغداء ووجبة العشاء، وكانت في بيته زاوية خاصة ينفرد فيها بالمحتاجين. كانت يده تدخل كثيرا في جيبه فتخرج يمينه المقسوم من المال ما لا تعلم شماله. كانت تلك الأيام جميلة ومشرقة حافلة بالتفاؤل والطموح، ومن بين الأشخاص الذين لفتوا انتباهي في ضيافة الشيخ علي هو الرجل الذي أكتب عنه الآن؛ اسمه محمد، كان أميا لا يقرأ ولا يكتب، ودأب بين وقت وآخر أن يخرج دفترا صغيرا من جيبه ويطلب مني قراءة بعض الأسماء وأرقام هواتفهم، وفي بعض الأحيان كان يطلب مني إضافة بعض الأسماء وأرقام هواتفهم الأرضية، كان يبتسم كثيرا، ويتحرك بين الشركات والوزارات ويطرق أبواب المسؤولين، لكنه لم يكن يتسول أو يطلب أية مساعدات أو هبات، بل كان يمارس تجارة توريد منتجات من محافظة ظفار في ذلك الوقت إلى زبائنه في مسقط، يبيع اللبان الحوجري والمواشي واللوبيا والعسل والأحجار وكثيرا من المنتجات، ثم صار يبيع ويشتري في العقارات. كان في تلك الأيام يقود سيارة شحن صغيرة وعندما قابلته في عام٢٠١٢ في مقهى منتجع الهيلتون بصلالة كان يسوق سيارة مرسيدس جديدة من الفئة الفاخرة. كان مظهره الخارجي متواضعا، يلبس دشداشة بيضاء يكاد لونها أن يصير رماديا من فرط الاستخدام ويلف على رأسه مصرا من القطن ويستخدم هاتفا عاديا. كنت على دراية بأن محمد صار ثريا بجهده وكفاحه، وهو يتاجر بالأسهم المالية والأراضي وبيع المواشي ويتحدث أهله وأصدقاؤه عن حجم الثروة التي ساقها القدر إليه بجهده وتفانيه وهو لا يقرأ ولا يكتب، فقط يعرف الأرقام لأنه يتعامل بها لتمرير تجارته ومعرفة إيداعاته، وكان يستخدم حروف اسمه في التوقيع على معاملاته التجارية والمصرفية، لكن عقله الفذ وصبره وحبه للمال كل تلك العوامل صنعت منه هذا الإنسان الناجح. لا يزال محمد مستمرا بجهد أقل وباستثمارات أذكى أغلبها يتمثل في عقارات وأسهم شركات تجذب إليه المال بلا جهد أو شقاء.

د. أحمد بن علي المعشني

رئيس أكاديمية النجاح للتنمية البشرية